

## الأدب ولغة المدا

إماتل محمد يوسف

إن المدا الأديبي ومعرفة مقوماته، وكيف تقف على شط بحره الموهل في تاريخ الجمال الحقيقي، في تاريخ نباهة الأديب المستقي لنا، قد تزدهي عصور، وتزدهي كذلك بلاطات الأديب. فالأديب هو الذاكرة الجمالية لكل عصر من العصور، هو المد الحقيقي بين لغتي الحلم والواقع.. وهو ذلك البوح الذي يختصر أعظم الأشياء الأدبية، ويضيء مدارات الثقافة لدينا، ويبقى ينبوع الأوحده..

هذه المدارات التي ترفد مكونات النفس البشرية، مكونات الالتقاء على شط الحرف الأول، وشعاعه الثقافي المزدهر بألف لغة من لغات الحياة. يضيء، ومكونات المد الأديبي، عبر ثقافة ما، عبر فكر وهاج، لا يخلو من عقريات الإبداع المستمر.. عندما تبرق في أنفاننا فكرة المد أو المدا الأديبي، لا بد أن نتخيل بحراً واسع من الكلمات الجميلة ذات المعنى الدال والمدلول عليه، وبالتالي نرى الأديب كالبحر وافر العطايا الثقافية يحمل في أحبيته النطقية شيئاً من عظمة المعاني ورفي الألفاظ، وبالتالي يحمل لنا أشياء من حواش الروح. وإن رحلت إلى ذلك المد الوافر من بحر الأديب، بقي المدا امتداداً من ذلك الزخم.

ويبقى السؤال التالي: أشتاق إلى الأديب في تجليات الوعد الخاق، وفي أحجية القول الواعد! أشتاق إلى الأديب في لغة النبط الكتابي، واستحقاق بيئات فاعل الثقافة وإن اقتل بنا: كما بينات أمر الأديب عظيم، هذا المد، وإن جاء موهلاً في جزئيات التاريخ الأديبي، في غيباب الحضور الأديبي المتد منذ القدم، حيث تكثر المصطلحات المعرفية والثقافية، على حد سواء.

فالأديب ربح طيبة النفحات، طيبة الثقافات، وطيبة الأفكار والأفكار المتراكمة، وهذا لا يعني أن المد هو بحر، تتلاطم به صور لفظية فاسد، وإنما هو ذكارة الترميز المختلفة المنشأ والأجناس؛ فمنها المد الشعري والقصصي والروائي والشعري والنثري.. ونلاحظ أن لكل جنس من هذه الأجناس الأدبية مده الخاص به، له رسالته الدالة عليه، وكذلك مهامه الفكرية والثقافية.

وهنا يبرز الشيء الذي يسمى «مهام الأديب» وحاله المتشرد، من خلال دراساته المستجدة والمؤقتة، وقد تكون هذه الدراسات المستقبضة بواقعها الأديبي هي بلورة حقيقية لذلك المد الأديبي، المد الذي تمنى أن يكون مداً وأفداً لينا.

وهنا نقرأ الأديب ومداه بألف لغة ولغة، ونرى الروح تعطي عرشه «أي» عرش أبيه الكلمات»، ونرى لغاتها وكأنها تنبثق من ضرورات الوعي المعرفي، وذلك الحلم الأديبي المتبعي.. الذي يبتغي نوره، ويعمل على بلورة المنطق اللغوي لأي مفهوم تسترحب في مدارات «المد الأديبي» بكل ما يحمل من عظمة حقيقية، ما نزال نستلهم من نوره الكثير.. والكثير مما يسمى الأديب ولغة المدا.

# الحكاية الخرافية وضررها..! ما الغاية من الإساءة للعلماء الذين نحبهم ونجلهم؟

## هل صحيح ما يروى عن حكايات بين طه حسين وراتب النفاخ؟

إسماعيل مروة

تختلف الأساطير عن الخرافات اختلافاً جوهرياً وعلمياً، فالأساطير ذات أصل يمكن للخيال أن يتحرك فيها كيفما شاء، أما الخرافة فلا أصل لها، وهي محض خيال، ومن هنا عد كثير من أن أغلب القصص المعروفة في أساطير، لأنها خارقة للمألوف، واعتمدوا في ذلك على سند قرآني لا لبس فيه (أساطير الأولين).. فالخلق والأنبيا والحوادث في خطوطها العريضة وقعت، ولكن الخطوط التفصيلية هي التي تكون محط خلاف بين الناس، وتخضع للزيادة والنقصان.

والأساطير لا تقف عند زمن معين، في حين كان يجب أن تتوقف، وخاصة مع وجود الكتابة والتدوين، واليوم وسائل التواصل الاجتماعي تنقل الأمور لحظياً، ولكن العجب لا ينقضي عندما نجد أن وسائل التواصل الاجتماعي تسهم في نشر خرافات لا أساس لها من الصحة، وليس الأساطير وحسب! والطريف الغريب المؤلم نسبة هذه الروايات إلى أناس فقات من دون مستقيم، فنفراً: منقول.. أخيراً أحد أساتذتي.. قاله استاذ جليل.. فما دام هذا الأمر بهذه الخطورة والمخاتة، لماذا لا نقصع عن اسم المتحدث؟ ولماذا نتسج الخرافات حول شخصيات علمية جليظة؟ وما المقصود من بث هذه الخرافات؟ ولبن تسمى هذه الروايات؟ ولماذا تقوم بوضع الناس الإساءة في مواقع التخصص؟ إلى أي مدى يعمق الكره؟ والسؤال الأخر أهمية: هل نلظ بقبص الخرافة رغم إساءتها وهي تقصم الناس إلى صالح وخبيث؟

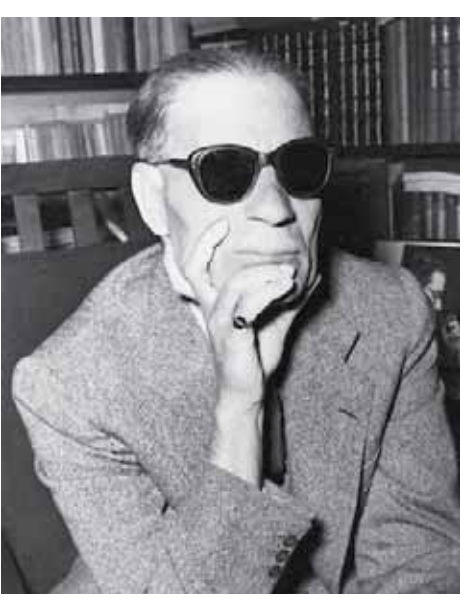
### الاستاذ أحمد راتب النفاخ مثالا

لم أندرس على يدي الأستاذ النفاخ، حين جئت إلى الجامعة طالبا كان قد غادها، وخذ إلى التقاعد والعمل الجمعي، ولكنني كنت أسمع عنه الكثير من الأخبار والأحداث التي تتجاوز حد الخرافة، ومن أسف شديد أكثر هذه القصص تتعلق بالبحا، وأنا لن أذكر حادثة أو قصة منها، لأنني لم أقتنع بأي واحدة منها، والذين يروون هذه القصص يقولون: قال لنا أساتذتنا النفاخ...! ولكن بعد دخولي إلى جامعة دمشق والتدريس، اكتشفت أن أغلب هؤلاء الذين يتحدثون باسم الأستاذ لم يكونوا على تواصل منتظم معه، إضافة إلى أنهم ليسوا محل ثقة؛ فماداً عن القصص الخرافية التي كانوا يروونها عنه رحمه الله؟

أسأل أنا الحياذي الذي لم يتكلم على يديه: كم خسر طلاب العلوم العربية بسبب هذه الخرافات؟ كم خاف من مآ دار بيننا أمحتظ به حتى لا أعي القرب، ولا ينقل عني أحاديث تصعب خرافة، كل ما عرفته في لقاءاتي لأن يتعلق بعالم جليل، وإنسان هادئ وفكر، ولا وجود لأي حركه أو ردة فعل مما كنت أسمع من مدعي التلمذة والقرب؛ فماداً يفسرهم أن يحبه الجميع، وأن يجب الجميع وأن يعطي علمهم لهم؟

### لم يكن كما صوروه!

قلت: لم ألتزم على يديه وخسرت الكثير من العلم والتجويد، وأنا الذي قرأت محاضراته في الأدب مكتوبة بخط أخي الراحل حسن وقد كان طالبا له، وقرأت ديوان ابن الدميثة الذي كان جزءاً من رسالة الماجستير، وقرأت عنه إشارات من العلماء التراثيين الأبحه، لكن أسألنا لساقني للقاءه ثلاث مرات: المرة الأولى بصبحة صديقه الشاعر الفلسطيني حسن البحري، وكانت جلسة هادئة، لم يتحدث فيها الأستاذ عن واحد، وكان من نورها وودوداً، ليأتي من يخبرني بعد يومين بألا أكر الزيارة لأن الأستاذ لم يحبني، فتوجست وابتعدت، إلى أن صبحني الشاعر البحري مرة أخرى وطلب مني ألا



طه حسين



راتب النفاخ

## كم خسر طلاب العلوم العربية بسبب الخرافات؟

التقت إلى كلام الذين حوله، فهو، أي الأستاذ النفاخ، لا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام، وخاصة أنني بصحبة صديقه، وكان اللقاء أكثر حياً ونبأ.. واللقاء الثالث والأكثر أهمية كان عند رحيل الأستاذ أحمد عبيد كبير وراقي بلاد الشام، وكنت مقرباً منه، وعلمتني أولاده بجزائته وموعدها، في ذلك اليوم كان على الرصيف الأستاذ أحمد راتب النفاخ، فبعد انتهاء مراسم الدفن في باب الصغير، سألتني عن وجهتي، فجم أجد جواباً إلا أن قلت: أنا أنتظر إشارته، وفي ذلك اليوم رافقت من باب الصغير إلى بيته العامر مشياً على الأقدام، وكان الحديث طويلاً، وكان الأستاذ مستمعاً أكثر منه متحدثاً، وكان مبسماً يحمل من اللطف والنيل ما لا يمكن تخيله أمام الحكايات الخرافية التي تسجت حول شخصيته..

تدعنا عند مدخل بيته وهو يدعوني للدخول والتواصل، وكل ما دار بيننا أمحتظ به حتى لا أعي القرب، ولا ينقل عني أحاديث تصعب خرافة، كل ما عرفته في لقاءاتي لأن يتعلق بعالم جليل، وإنسان هادئ وفكر، ولا وجود لأي حركه أو ردة فعل مما كنت أسمع من مدعي التلمذة والقرب؛ فماداً يفسرهم أن يحبه الجميع، وأن يجب الجميع وأن يعطي علمهم لهم؟

### النفاخ وطه حسين

منذ أمد بعيد وأنا أسمع قصصاً عن خلافات بين العميد حسن والأستاذ النفاخ، والحقيقة إن هذه القصص خرافات، فإن عندنا في ديوان ابن الدميثة، فهو تحقيق ودراسة، وللجنة لا علاقة لها بطه حسين من قريب أو بعيد، وربما كان في الدراسة التي لم تظهر بعض الآراء حول الشعر، ولكن هذه البرود، إن وجدت لا تصلح حد مثل هذه الخلافات الحادة، وربما كان الأكثر اتصالاً بطه حسين حياضه الدكتور شعري فيصل الذي جمع تاريخ الأدب العربي له، وهذه الحكايات الخرافية تتجاهل أمورا:

– هو حسن استاذ جليل من مواليد الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وهو صاحب مكانة وأسندة، ولا يحق لنا أن ننسب التناول من طالب إلى استاذ، ونحن

منذ عقود طويلة تعاقب المحتلون على أرض فلسطين الحبيبة الذين جاؤوها من كل حذب وصوب طمعاً بطيب ترابها المقدس الذي انبثقت عنه أعظم الحضارات وكان بيتاً ومهداً لأثلل الرسل السماوية. فمن الاحتلال العثماني ثم الانتداب البريطاني وصولاً إلى الاحتلال الصهيوني تنوعت أشكال الاستعمار وأساليبه القمعية والوحشية التي لاقت في كل حقبة جيشاً كبيراً من المجاهدين والمضاهين الذين ضحوا بدمائهم في سبيل كرامة وطنهم، كما برز بقوة دور النساء الفلسطينيات اللواتي شاركن أيضاً بعمليات المقاومة، فحرسن وطنهن بأصواتهن التي نقلت الرسائل والتحذيرات إلى النوار والأسرى عن طريق الأغنيات المشفرة «الترويدة» أو «الموللاة» التي أبعدن فيها وحولنهن إلى وسيلة تواصل مع نوهيهم في سجون الاحتلال البريطاني أولاً ثم الإسرائيلي، حتى غدت تلك الأغنيات جزءاً لا يتجزأ من المقاومة الفلسطينية.

### أصل الأغنيات

نشأت أغنيات «الترويدة» ضمن قوالب الغناء الفلكلوري النسوي القروي الذي كان متوارثاً في فلسطين منذ القدم إلى وقت قريب وقد استمدت اسمها من «الموللاة» من زيادة حرف اللام إلى الأغنية. وقد امتازت مناطق وسط وجنوب فلسطين المتلازمة مع مناطق انتشار الفلكلور السامر بهذا الأسلوب الغنائي الجماعي الذي يضيوي تحت ما يعرف بـ«الدحاريج» و«التراويد»، ويؤدي بطريقة جماعية من خلال التشاور بين فرقتين يصطفان متقابلين ويتبادلان الشعر غير اللحن، والترويدة عموماً هي نوع من الغناء البيطي الذي يحكمه إيقاع معين يعتمد على الإلقاء بدرجة أساسية، الإلقاء المنغم الذي يحمل موسيقاه الخاصة حيث يعتقد أن الترويدة لم تكن تؤدي قديماً بصحبة أي آلة موسيقية لأن النساء كن في الغالب يفتنهن بشكل جماعي فيخلق الإيقاع عبر أصواتهن.



مايا سلامي

# أغاني شعبية فلسطينية بروح المقاومة «الترويدة» و«الموللاة».. أغنيات تحدث قضبان الاحتلال

اليوم يوجد الكثير من سكان المخيمات الذين ما زالوا يجيدون الحديث بتلك اللغة بطلاقة.

### يا طالعين الجبل

تعد ترويدة «يا طالعين الجبل» من أشهر تلك الأغنيات التي وقتت وأقعة تحرير بعض الفدائين من الأسر في منتصف الثلاثينات وتعتمد في بنيتها على التكوين السابق نفسه بإضافة حرف اللام للتويه. وفي هذه الأغنية أخبرت النسوة «المحبوس» أن «الغزال» أي الفدائين سيأتون في الليل لتحريرهم وأن إشارة بدء العملية هي عندما يرون النار موقدة حتى يفهم الأسرى الرسالة وينظروا تحريهم. وتقول كلماتها: يا طالعين عين لل الجبل يا مولل الموقدين النار بين للل يامان يامان عين للل هنا يا روح ما بدي متكي للكم خلعة ولا لا لا لا لآبدي ملبوس إلا غزال للذدي جوين للكم محبوس إلا غزال للذدي جوين للكم ما يدوم

### ترويدة الشمالي

وكما كانت المرأة الفلسطينية تقوم بتشغيل أغنيات المقاومة والخورة، كانت تشغل كذلك أغنيات الحب والشوق حتى يتسنى لها التعبير عن مشاعرها بشكل موه خوفاً من افتضاح أمرها أمام الحراس، ثم أصبحت يعقن هذه الكلمات في جسانهن أو أثناء العمل وحتى في الأعراس. ومن أشهر هذه الموللاة كانت «ترويدة الشمالي» التي تقول: وأنا لييلبعث مع الريح الشمالي لاي يا رويلووو وانا الليلة لبعث مع الريح الشمالي يا صلابلر ويا ديورللي على لحيبليلابا يا رويلووو (يوصل ويور على الحباب يابا) يا هللوا روح سللملي على اللهم يا رويلووو (يا هوا روح سللي عليهم) وطالاتال الغربية الليلة واشتقا ليلي اللهم يا رويلووو (وطلات الغربية واشتقا لهم) يا طيرليرش روح لي للحباب واصللمهم يا رويلووو (يا طير روح للأحباب ووصل لهم)



وفي الواقع كانت المرأة الفلسطينية تعمل على تأليف الكلام الذي تريد من خلاله إيصال رسالتها، ثم تحبب معانيه، وبعد ذلك تعمل على إعادة صياغته وإضافة التشفير اللازم حتى لا يفهمه الحراس، وكان كل ذلك يتم مع الحفاظ على وزن اللحن وإيقاعه، وابتداع الشعر المناسب له، حتى تحافظ على شكل الترويدة الفنية. انتقل أسلوب الموللاة إلى فترة الاحتلال البريطاني، وتحديداً مع بداية الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، حين عمد الاحتلال إلى قطع كل أساليب التواصل بين النوار وأهلهم في القرى ومحيطه، عندئذ لجأت النساء مجدداً إلى الموللاة لإيصال الأخبار إلى النوار ونشرهم للعقولين في سجون الاحتلال باقتراب خلاصهم فكانوا يشغرون للكلمات حتى لا يفهمها المستعمر الذي قد يعرف القليل من العربية. وقد استمر التعامل بتلك الشيفرة حتى بعد التكية، وإلى

### دورها في المقاومة

بدأ الأمر خلال فترة الاحتلال العثماني، حين امتعت الترويدة- والملااة تحديداً- وظيفة سياسية. عملت النساء على تشفير الكلمات لإيصال رسائل سرية إلى الأسرى، حين يذهبن لزيارتهم في السجون، وإلى المقاومين في الأماكن التي كانوا يخبثون بها. كانت النساء حلقة الوصل بين الأسرى والمقاومين، ومن خلال التشاور بين فرقتين يصطفان متقابلين وما ينتظرهم. كانت النساء يؤلفن شعراً يحتوي على رموز تتضمن تفاصيل عمليات الغداء وأبرز الأخبار، بطريقة مشفرة لا يمكن للعدو أن يفهمها. ولم يكن التشفير بالأمر السهل أبداً، إذ اعتمد معظمهن على إضافة حرف «اللام» وتكراره داخل كل كلمة تقريباً، مع اختلاف تشكيل الحرف من كلمة إلى أخرى، وأحياناً كان بعضهم يلجان إلى قلب الحرف الأخير للكلمة.

# برجك اليوم 11/01



نجلاء قياتي

لا تعتبر نفسك شخصاً كفو إذا لم تستطع منع الأحداث السيئة من الحدوث ولكني سأعتبرك غير كفو إذا لم تتعامل معها بشكل صحيح فقد تعاني صدمات مع أصدقاء حوكك ولا تترك الأمور عاتمة لكيلا تتضامق من وعود كاذبة أو تدخل نراعات أنت بغنى عنها. عاطفياً: تحاول البعد عن كل ما يزعجك من تصرفات مزجة أو نقد أو مؤامرات.

قد تقابل اليوم شخصاً يكون له أثر في حياتك قد يكون صديقاً سبسته منذ زمن وقد تشعر باسترخاء وسعادة أو تجتمع بأشخاص لم ترهم منذ زمن فالיום للتجمعات.

تقول بعض الخرافات؟ عاتفياً: قد تكافأ على الجهود المبذولة المترافقة مع الهدوء والتواصل الجيد مع الآخرين.

لا تكن متطلباً أو عصبياً ولا ترم بسلة حجارة من كلمات العصبية في وجوه العائلة أو الشرك، فاليوم متعب على المستوى الشخصي لذلك أحذر من الشك أو الغيرة أو سوء الظن ومن دون ميرر.

انت تعرف أنك تستطيع استرداد كل ما منحتة لآخرين فامنج المحبة تلقها واغتمن الفرص للقاءات عائلية أو شخصية لأنك تحمل مشاكل معلقة واليوم للصادقات. عاطفياً: أحب نفسك وأحب غيرك لتحصل على المحبة والغفران والفرص الإيجابية.

تسير الأمور العاطفية بشكل جيد مفسحة في المجال لتعزيز الروابط وتمتين الاسس وهاتك لا يبدأ من اتصالات تتصمر قائمة اهماتكنا وكل يطلب موعداً أو لقاء.

قد تناقش أموراً مالية أو عقارية أو تفكر في طلب مساعده أو قرص من البنك أو تدخل مشاريع شراكة والحقيقة أنك تشكو قلة الموارد المالية ويلزمك مزيداً من السيولة.

تتمتع بإشباع وحزم وإصرار على تحقيق النجاح فانت تمتلك معنويات مرتفعة وحيوية تتضاعف بسبب ثققت في نفسك والجدابية وقد تفكر بتغيير في شكلك أو أسلوبك.

قلل من كلامك العفوي والعصبي وعالج أمورك المتخصص بالعربية، والسيدة الفاضلة أم عبد الله، أشهد بأن هذا البيت لا يكون فيه غير التهذيب والعلم؛ فلتكفوا عن صياغة الخرافات، وأطلب من أسرته أن تصنع له سيرة علمية موضوعية حياتية تليق بقاتمه.

عاطفياً: حاول إبراز كامل مهاراتك فالأضواء كلها موجبة إليك وتتعدك المحبة ممن حوكك.

تتبع الخرافة: فلما علمت الحكومة السورية آنذاك، عينت الأستاذ النفاخ بمرتبة دكتور، ما هذه الأوهام؟ كيف عندما علمت؟ هل يحدث ذلك في غرف سرية؟ وإن كانت الحكومة آنذاك ستعيه دكتوراً فماداً أرسلته وأرسلت غيره؟

عاطفياً: قد تشعر أن الأعمال تحمل التشجيع فاطلاقة والسعادة تزينان حياتك واليوم سعيد.

عاطفياً: انت عصبى أو مستفز من تفاصيل صغيرة وقد يضايقك التخل أو التصانح.